

جامعة بغداد
كلية التربية للبنات
قسم اللغة العربية

النزعة التحررية في شعر
الشاعرات العربيات
في لبنان

م.د. فرح غانم صالح حميد البيرماني

المخلص

تتاول البحث دراسة تحليلية لشعر بعض الشاعرات اللبانيات اللواتي نشأن في مدارس الراهبات الفرنسيات وتأثرن باللغة الفرنسية وعكسن ثقافتهم الغربية في شعرهن إذ تطرقن إلى موضوعات فيها من الجرأة بمكان إذ عالجن موضوعات خاصة بالحب والحياة والتحرر والثورة على تقاليد المجتمع التي أصبحت غير منسجمة مع طبيعة التطور التي يمر بها المجتمع اللبناني وحالة الانفتاح على الثقافات الغربية. فكن قد تمردن على القيود الاجتماعية وحالة الانضباط والالتزام بهذه القيم والتحرر بل الانفلات من أسرها لأنها من وجهة نظرهن عادات بالية لم تعد تتسجم وطبيعة الحياة الحداثوية وأرجو أن اكون قد وفقت من خلال الدراسة إلى إعطاء صورة ولو قريبة من واقع تلك النسوة مع تحفظنا عن بعض الشطحات التي وقعت في شعر بعضهن إذ منحن لأنفسهن التحرر المطلق وكأنهن يعشن في مجتمع غربي لا يعير اهتماماً لكل ما نؤمن به نحن العرب من معتقدات ومثل وقيم اجتماعية.

Liberating Trends in the poetry of the Arab poets in Lebanon

Farrerrrrah Ghanim Salih Hameed Al-Bayrmani

University of Baghdad-college of Education for Women

Instructor Doctor

ABSTRACT

This research is an analytical study deals with the poetry of some Lebanese poetess who studied in the French nuns schools and effected by the French language which have been reflected in their poetry. Their poetry deals with several serious issues like: love, life, liberty and revolution against the social traditions which is not in harmony with the nature of development in society. The researcher hopes that he was successful in giving a close image about those women with some come conservation about their views that are not in line with our Arabic traditions.

تملكتني رغبة وإحساس غريب عندما كنت أقرأ في بطون الكتب التي تناولت دراسة وعرض شعر الشاعرات اللبانيات بين الأعوام ١٩٠٣-١٩٦٨، فتأملت في شعر المتحررات منهن اللواتي يبرز في شعرهن بشكل واضح، ومن خلال قراءتي حياتهن، لاحظت إتقانهن اللغتين الأنكليزية والفرنسية فشدني ذلك لأتعرف على فكرهن وفلسفتهم في التحرر من القيود والتقاليد والعادات التي تقف حائلاً أمام أمنيات أية امرأة تفكر في أن تُصرح بحبها وتتكلم عن فارس أحلامها خوفاً من مهاجمتها والنيل منها، فتعتمد إلى كبت مشاعرها. وسنلمس مظاهر الثورة والجرأة والتحدي، فمنها... "الثورة على تقييد الحب أو تزييفه وتحدي التقاليد، والثورة على تقاليد الحب المصطنع، وثورة على القاعدة المزدوجة التي تحضر بالمرأة عقاب خطيئة الجنس وتجعلها المسؤولة الوحيدة عما يسمونه (جريمة الشرف)، وقد تتخذ الثورة عند بعض الشاعرات صورة الهروب من الواقع إلى عالم خيالي، عالم الطفولة والحلم، أو صورة إغراق الذات في حُب البشر والاتحاد الصوفي بالطبيعة والكون أو ارتياد مجاهيل الذات في محاولة لتفجير طاقاتها الكامنة وسوانحها المكبوتة".^(١)

واخترت بعض النماذج الشعرية لشاعراتنا اللبانيات اللواتي جسدت في مضمونها إشارات عن... (الحب والجنس، ولقاء الرجل بالمرأة، والخوف من فراق الحبيب، وممارسة الحب في الظلام،... وغيرها من الإشارات الجريئة التي تستحق التمعن فيها)...

ويتبادر إلى الذهن سؤال: هل في ذكر تجربة الرجل أو المرأة ما يكشف عن شيء غامض لا يعرفه الإنسان؟ ولماذا التشهير بالذات؟ هل هو نوع من "العرض الجنسي" للشخصية المريضة نفسياً؟.

أظن أن التجربة الجنسية ليست غريبة وليست جديدة، ولكني أظنها ترغب في شد القارئ وتشويقه لمتابعة أعمالها وأفكارها أو قد تكون جرأة منها، وشجاعة لتعلن

(١) نسمات وأعاصير في الشعر النسائي العربي المعاصر، روز غريب، ص ٥.

عن رغبتها بالشهرة وهي ترفض التقيد وتعلن عن ثورتها إزاء كل القيود والسلاسل التي تقف في طريقها.

تأثير الثقافة الغربية (الفرنسية) في شعر الشاعرات اللبنانيات

لم تكن البيئة اللبنانية ، أرض لغة واحدة.^(١) إذ أن بعض الشماليين الموارنة -خاصة في بشري- نجحوا في الحفاظ على اللغة الآرامية مدة طويلة.^(٢) ثم راح هؤلاء يتصلون بالغرب بوساطة المعهد الروماني.^(٣) فأثبتوا مرونة جليّة وتوقاً إلى الانفتاح على مرامي الثقافة الجديدة، ونشأت منهم طبقة متعلمة بفضل مساندة الكنيسة الكاثوليكية في روما.^(٤) أما الثقافة العامة التي توافرت للبناني في الصدر الأول من القرن العشرين فكانت تدفع به إلى الانفتاح على تراث الأمم الأخرى. وأسهمت الرحلات والهجرات في تميمتها، واستطاع قسم كبير من الناس، أن يتعرفوا عن قرب على ينابيع الثقافات الغربية، حتى غدا البحث عن الثقافة همّاً متقدماً من هموم الإنسان اللبناني، وهذا ماحدث في أحيان كثيرة إذ نرى أن اللبناني الموهوب - شاعراً كان أم ناثراً- يلتفت إلى طاقة تعبيرية جديدة.^(٥) ويعلق على هذا الأمر د.كمال الحاج قائلاً: "يحوّل طاقته إلى اللغة الثانية".^(٦) وانعكست آثار الأدب الفرنسي في أدب النهضة اللبناني، فالتقى الأدباء والشعراء اللبنانيون في مجموعات مدرسية غربية، وبذلك انطبع الأدب اللبناني المعاصر بطابع الغرب البراق.^(٧) إن إتقان اللغة الفرنسية إتقاناً كاملاً يحتم فرضية أولى هي سهولة التعبير بواسطتها

(١) ينظر: شعر اللبنانيين باللغة الفرنسية، غالب غانم، ص ٢٦، ينظر هامش الصفحة [موقع لبنان الجغرافي].

(٢) ينظر: أدباء العرب في في الأندلس وعصر الانبعاث، بطرس البستاني، ص ٢٢٩.

(٣) ينظر: تاريخ لبنان الحديث، كمال الصليبي، ص ٤٨٧ (حدث في منطقة بشري صراعات دينية في القرن التاسع عشر والتي عززت من الحفاظ على اللغة).

(٤) ينظر: لبنان في التاريخ، فيليب حتمي، ص ٤٢.

(٥) ينظر: شعر اللبنانيين باللغة الفرنسية، ص ٢٧.

(٦) ينظر: فلسفة اللغة، كمال الحاج، ص ١٢٩.

(٧) ينظر: الآباء والبنون، ميخائيل نعيمة، ص ١١.

وتوافرت سهولة التعبير بخاصة للنساء المتخرجات في مدارس الراهبات، فلا بد من التوقف عند ظاهرة شعر النساء باللغة الفرنسية للوقوف على أسبابها ونتائجها.^(١) إذ تدفعنا إلى ذلك الأسماء التي نقرأها حيناً بعد حين، والتي تجعل من عدد النساء الشاعرات في تكاثر مستمر، لم يعهده أدبنا من قبل.^(٢) فكانت الأسباب المباشرة التي التي عززت وجود هذه الظاهرة، هي أن معظم اللواتي كن يتقن اللغة الفرنسية، تعلّمن في مدارس الراهبات الفرنسيات، وكنّ من بنات العائلات المسيحية وكانت الثقافة نتيجة أولية لتجمع الطالبات في تلك المدارس، وكذلك ما هو كامن في لغة التحرر الإنساني المتمثل في لغة الفرنسيين، لأنها لغة الدور والقصور، ولغة الأناقة والتفرد، وزيّ من الأزياء الأرستقراطية المستحدثة.^(٣)

وأود أن أشير ألى أن انتشار اللغات الغربية، لاسيما الفرنسية وكذلك المدارس والمعاهد الأجنبية في لبنان ومصر وسوريا وفلسطين، كما نشأت بعض الشاعرات في الكنائس، والبعض الآخر تغرين بسبب الحروب والانقسامات، وهذه الأمور كلها وغيرها أدت إلى أن تأخذ اللبنانية حريتها، وتطلق العنان لقلمها وهي تسجل كل لحظة تعيشها وكل ما تشعر به، وتتخذ من الطبيعة وسيلة لترمز إلى نيران قلبها ولوعة جسدها، فالحب والحنين والقلق والثورة هو كل ما يشغل فكر الشاعرات العربيات. واخترت بعض أسماء الشاعرات كأنموذج ليتعرف القارئ على فلسفتهم في الحياة والحب.

ولنبداً بـ(هدى أديب) التي درست في سن مبكرة الموسيقى واتخذتها مهنة العمر، وعلى مقاعد الدرس عالجتها كذلك فن الشعر، شقيق الموسيقى، فكانت أولى كتاباتها شعراً منظوماً في امتداح الموسيقى. ثم أستهوته موجة التحرر الشعري فأخذت تكتب نثراً شعرياً.^(٤) ومن خلال قراعتي بعض قصائدها الشعرية الفرنسية المترجمة إلى العربية، لمست ملامح جراتها تجاه عاطفة الحب مع الرجل. ولنسمعها تقول...

(١) ينظر: شعر اللبنانيين باللغة الفرنسية، ص ١١.

(٢) ينظر: شاعرات العرب في الجاهلية والإسلام، بشير يموت، ص ٤.

(٣) ينظر: شعر اللبنانيين باللغة الفرنسية، ص ٣١-٣٢-٣٣.

(٤) ينظر: نسيمات واعاصير في الشعر النسائي العربي المعاصر، ص ٤١.

سأحبك حتى الاعتصار
سوف أبني بيتاً فوق بيت
بحيث تغلق في وجهك الأبواب
نورٌ قاتم ينزلق من يدي مثل وحل
يدمر ذاكرتك

حجارة فوق حجارة تجتازها
وأنا ألعق الحجارة
حتى يذهب عطشي
راكعة أجتاز جسمك اللامتجدد.^(١)

وتستمر الشاعرة من خلال مقطوعتها الشعرية، في إظهار علاقتها بالرجل
ورسم ملامح هذه العلاقة. فنقول...

أصـابك عاريـاً
الأمواج تهدد، تصرخ عني
لعجزي عن الوصول اليك
أرقص
لوح زجاج متخطم، مرتعب
بالحلم الذي يسحقني...^(٢)

والشاعرة تشبه نفسها بأمواج البحر عندما تكون بيد عاشقها، وهي تلجأ إلى
الطبيعة مستثمرة إياها للتعبير عن أحلامها.

وتُعاني من صدود الحبيب وتحاول تحديد مفهومها للحب قائلة:

مما الحـب؟
إن امتـزج بـك

^(١) "وقفة قلقة" نقلاً عن نسمات وأعاصير في الشعر النسائي العربي المعاصر، ص ٢٤١.

^(٢) نسمات وأعاصير في الشعر النسائي العربي المعاصر، ص ٢٤٢، نقلاً عن المجموعة الشعرية الفرنسية المترجمة "وقفة قلقة"، ص ٩، ص ٩، نشر مجلة الأديب، بيروت، ١٩٧٠.

أن يفارقني الضحك بدونك
أن أحس الآلام بجسمي
بدونك

تهجر أحلامي
تقرع باب الواقع ولا تدخله...^(١)

وتصور الشاعرة ذلك اللقاء الذي يجمعها مع الرجل، فكانت جريئة جداً وهي
تعطي إيقاع الحركة لتلك الصورة التي يمكن أن يتخيلها أي قارئ، فتعبر عن رغبتها
في الانفراد بالحبیب، وهناك بوح صريح بالجنس وبما يختلج في مخيلتها وما تتمنى
أن تحققه في عالم الوهم لا الحقيقية، فنقول...^(٢)

أود لو تكون طريقاً أتدحرج عليها بصبر
بإشارات مكسورة تملأها المسافة
أرقص مجنونة، تعبئة، منسية
غنّ. غنّ. إيقاعي الذي ينظم خطواتك
غنّ. هذا الإلحاح على أن نكون وحدنا
في حين يجب أن نكون هناك...
أود أن أقتلحك
أدخل، أضم

مثل شعاع يدور حولي
طويلاً، طويلاً، مع جسم معين
طويلاً على صدرك
أصنع دوائر تتأرجح طويلاً
طويلاً خنقتك على صدري
حتى أني فجأة احتجت إلى ألف فضاء.^(٢)

^(١) نسّات وأعاصير في الشعر النسائي العربي المعاصر، ص ٢٤٣، نقلاً عن المجموعة الشعرية الفرنسية المترجمة "جملة معترضة"،
ص ٦٢، نشر مجلة الأديب-بيروت، ١٩٦٩.

^(٢) "وقف قلقة"، ص ١٠، نقلاً عن نسّات وأعاصير في الشعر النسائي العربي المعاصر، ص ٢٤٥.

ولعل أغرب ما لحظته الشاعرة في مجموعتها الشعرية "ثلاث مكعبات" التي كتبتها باللغة العربية، استخدامها رمز المكعبات، وكأنما تريد أن توجه رسالة إلى القارئ مفادها "اقرأ ما وراء السطور".

فهي لم تخل من إشارات عاطفية إذ تقول في القسم الأول من مجموعتها الذي جاء تحت عنوان "غرفة الألعاب"...

عليك سَأقيم المكعبات
في كل جنب من كل مربع "أحبك"
حتى تتفكك زواياها

وتستمر قائلة...

أنا عَيْنُ زائغة أبحث
زعازع تقفل الأبعاد
على أول كف، على كل كف.^(١)

فالمكعبات ترمز إلى لعبة الحياة التي تقوم بتمثيلها. وهي تشير بكلمة "أحبك" إلى أحلام الحب التي تغمر رأسها، التي تجعلها تكتب في كل جنب من كل مربع كلمة الحب. لكل زعازع الظلم تسد الطريق وتضرب على كل يد تحاول الانطلاق.^(٢)

أما القسم الثاني من المجموعة وعنوانه "أنفرط الزئبق"، فتروي الشاعرة حكاية نضال المرأة التي تحاول تحرير الرجل من عُقده والقضاء على جفافه.^(٣) فتجعل القارئ يغوص معها في عالمها ليحدد ما تريد وهي مشيرة إلى توق للحبيب مشوب برغبة الجسد، فتقول...

أزرعك في السماء لِيَمْطِرَ جسدك
أزرع جسدي في السماء لِيَمْطِرَ عليك

(١) المجموعة العربية "ثلاث مكعبات" و "غرفة الألعاب"، ص ١١، المؤسسة التجارية، بيروت، نقلاً عن نسمات وأعاصير في الشعر

النسائي العربي المعاصر، ص ٢٥٠.

(٢) ينظر: نسمات وأعاصير وأعاصير في الشعر النسائي العربي المعاصر، ص ٢٥٠.

(٣) ينظر: نسمات وأعاصير في الشعر النسائي العربي المعاصر، ص ٢٥١.

سألق بك وأطردك حتى أهبك حريتك.^(١)

أما في القسم الثالث الذي عنوانه "الزعانف المعطلة" فتعرض الشاعرة موضوع الكفاح اليأس في سبيل التحرر، فالزعانف أداة السباحة والانطلاق لكنها معطلة، عاجزة عن العمل، لتكاثر العقبات التي تشل حركتها، ففي هذا القسم تتولى رموز وصورة قديمة وجديدة، تعبر عن واقع المعاناة في ظل الكبت والخوف والتحجر، إذ تصف محاولات جريئة تنتهي بالفشل، لأنها تأتي من جانب واحد.^(٢) فتقول مشيرة إلى رغبتها في سلب الرجل عفافه وتعليمه ضروباً من اللعب الغرامي بعدما وجهت له دعوة اللقاء للانفراد به.

أسير في الرعب بغية الوصول إليك
عبر جمر يذوب مع الدفء
سأعلمك المشي على جسدي لكيلا ترحل
في رحبة فمي عطش يبحث عن ماء
من ارتوى من جسدي.^(٣)

حاولت هدى أديب من خلال مقطوعاتها الشعرية، أن ترسم للقارئ صوراً من سلوكها في أثناء وجودها مع الحبيب، حتى لو كان هذا الحبيب له صورة وهمية في عقلها وقلبها، فتصف وتصور ما ستفعل وكيف ستتصرف ولاسيما إذا كانت مكبوته المشاعر، ويسمّي علماء النفس هذا الأمر بـ(الاستعراضية)، ويعلق الدكتور (علي كمال) أحد علماء النفس بقوله: "إن ظهور الأنثى بهذا الشكل الاستعراضي، لا يمكن جعله انحرافاً جنسياً بالمعنى الصحيح، ذلك أنها لا تجد فيه لذّة جنسية، بل يسعى عن طريقه إلى جلب انتباه واهتمام الناظر إليه وإلى تأكيد شخصيتها وأنوثتها".^(٤)

أما الشاعرة (فينوس خوري)، التي ولدت في بيروت عام ١٩٣٧، إذ تلقت دروسها الثانوية في مدرسة زهرة الإحسان، وتقيم حالياً في باريس بعد زواجها من

(١) ينظر: مجموعة "ثلاث مكعبات"، وانفراط الزئبق، ص ٦٣، نقلاً عن نسمات وأعاصير، ص ٢٥١.

(٢) ينظر: نسمات وأعاصير في الشعر النسائي العربي المعاصر، ص ٢٥٢.

(٣) مجموعة ثلاث مكعبات، الزعانف المعطلة، ص ٩٩، نقلاً عن نسمات وأعاصير في الشعر النسائي العربي المعاصر، ص ٢٥٢.

(٤) الجنس والنفس في الحياة الإنسانية، د. علي كمال، ص ٢١١٤.

السيد "غاتا". لها بالفرنسية مجموعات شعرية منها: "وجوه غير مكتملة"، ١٩٦٦ و "الأراضي الراكدة"، ١٩٦٨. ولها في النثر، الروايات الآتية:

"اللامتألفون"، ١٩٧١ و "حوار حول مسيح أو حول بهلوان"، ١٩٧٥. وتسهم في تحرير بعض الجرائد والمجلات الأدبية في فرنسا، من بينها "أوريا"، وهي من ممثلي الاتجاه الجديد، المتحرر على صعيد الشكل والمضمون^(٢). ونلاحظ أن الشاعرة في مجموعتها "وجوده غير مكتملة"، ذات شخصية مفردة من حيث الموضوعات التي تختارها، إذ تنعكس في شعرها تجارب المرأة التي عرقتها الحياة وحفرت في نفسها كثيراً من الانطباعات القاسية والرؤى الجامعة بين المرارة واللوعة.^(١) وأجد أن كل ما تفكر به (فينوس) هو "العاطفة" فنظرتها للحب متشائمة، وكل ما يشغلها أن تتسابق مع الزمن، وتعدد علاقاتها ولا تكتفي (بحب واحد)، إنما تكبر دائرة معرفتها بكل من حولها، وفي كل مرحلة من عمرها لا بد أن ترافق من ينقلها إلى عالم الوهم واللاوعي لتُطفئ نيران جسدها الملتهب.

فتشدنا قصيدتها التي جاءت بعنوان "الرجال الذين مروا في حياتي"...

(١) ينظر سمات وأعاصير في الشعر النسائي العربي المعاصر، ص ٢٦٢.

يتماسكون بالأبيدي
يقودون رقصتهم حول نار منطفئة
رجـال عمـري..
وتكبرر الـدائرة
تلفظ منهم فريقاً وتغص بالداخلين الجدد
لن يزدوا مطلقاً على الحاجة
ولن أحظى منهم أبداً بالعدد الكافي
أريدهم جميعاً. جميعاً. أتفهمون؟^(١)

نجد في ذلك إشارة إلى شبق مجنون، فهي تستعرض بشكل ساخر كل من عرفته من عشاقها القدماء، إنها ببساطة أنثى تحتاج دائماً إلى رجل. ولنتواصل مع الشاعرة (سامية توتنجي)، التي ولدت عام ١٩٣٩، إذ تلقت معظم دروسها في بلدان أجنبية كإسبانيا والأرجنتين وطهران بسبب مهمات والدها الأديب والسفير توفيق عواد. فهي مجازة في علم الاجتماع، كتبت عام ١٩٧٢ بعض الأبحاث والتحقيقات عن الثورة الثقافية في الصين، نشرتها في جريدة "الصفاء" الصادرة باللغة الفرنسية وسُميت، في العام نفسه، رئيسة لدار الفن، إذ تُخصص جانباً كبيراً من نشاطها للأهتمامات الفنية، وتسهم مساهمة بارزة في رعاية وإطلاق حركة الفنون التشكيلية في لبنان، ولها بالفرنسية مجموعة شعرية بعنوان: "حضورات متعددة" أو "حضور متعدد الوجود" أو "حضور من كل فج" ١٩٦٨، فضلاً عن ديوان مخطوط استلهمت غالبية قصائده من اليابان.^(٢) إذ تفتح الشاعرة مجموعتها بقصيدة تجسد أحلام البنات، وتشعر بمفاتيح الطبيعة تسري في جسدها، وهي تغوص في أعماق الرجل، وتجسد مايشتهي في المرأة وهو يبحث عن أماكن لذته. فتقول...

^(١) المجموعة الشعرية "وجوه غير مكتملة"، ص ١١، نقلًا عن نسمات وأعاصير في الشعر النسائي العربي المعاصر، ص ٢٦٢.

^(٢) ينظر: شعر اللبنانيين باللغة الفرنسية، ص ٢١١. وانظر "مولد شاعرة"، توفيق عواد، ص ٢٨، مجلة الآداب، عدد ٨-إب-١٩٦٨.

جميع النساء تتكلم بفهمي
جميع النساء تتكلم بفهمي
وتبعتهن الطويلة الأمد تسوق البحر
إلى مضاجعنا
والبحر، البحر حامل مفاتنه
يردد "السلام" المقتنص من المتع الطويلة،
والنهد الذي أخضع كبرياءه
جميع النساء تتكلم بفهمي
تعفر عـين الرجل
في المهاوي الأشد واقعية.^(١)

فهنا إشارة إلى انشداد عين الرجل إلى مفاتن المرأة الظاهرة والخفية التي
تكشف عنها لحبيبها. وفي مقطع آخر نرى الشاعرة تؤكد علاقتها بالحبيب، وإن
كانت العلاقة حقيقية أم خيالاً، فهي ترسم لنفسها صورة العاشقة الملتهبة الأشواق.
فتقول...

أنت عند أبواب السمكوت
وأنا أحمل جسدك في عيوني
أعضائي مثقلة بالعنقا
خدّي كل يوم يزداد تجوفاً من أثر القبلّة التي تطبعها عليه.^(٢)
عليه.^(٢)

وما أغرب ما أنشدته الشاعرة وهي تنظر إلى جسد الأنثى، كأنه مصدر
الشقاء والعناء، وهي تتعذب لتحقيق رغباته، وقد اعتمدت على الطبيعة في استخدام
إشارات نفهم من خلالها أن هناك رغبة عارمة تجاه العاطفة في معالم صورتها
الشعرية، فنسمعها...

(١) "حضور متعدد الوجوه"، نقلاً عن نسمات وأعاصير في الشعر النسائي العربي المعاصر، ص ٢٨٢.

(٢) "حضور متعدد الوجوه"، ص ٤، نقلاً عن نسمات وأعاصير في الشعر النسائي المعاصر، ص ٢٨٤.

فروع الحيوانات الغامضة التي تسكنني
كأنما من جميع هذه المسوخ
جسدي هو الحيوان الأشد هولاً
كأنما تتجسد فيه هذه الأخطبوطات، هذه الحشرات المتكاثرة في
كأنما هناك أعماق قصاص موجه إلى تقلبات كياني
وكان الطبيعة حين أرادات معاقبة الظل والظلال
صنعت جسدي وأعضائي
لتطبع فيها ختمها.^(١)

وفي قصيدتها "أنا المرأة" نلمس رفض الشاعرة لأي تقليد تخضع له المرأة،
وتدعو إلى تحرر عاطفتها، إذ ترفض كل ما تفعله المرأة الوديعَة لإرضاء حبيبها، إذ
تكره التصنع والقيود، تكره الأنثى الباردة الأحساس التي تبقى في سُباتها، فأكثر ما
يعجبها الانطلاق وتحقيق ما ترغب لنفسها. فتقول...

ولكن أذهبى أيتها المرأة العفيفة
المدفونة وراء أهـــــــــــــــــدابي
اذهبي باربيبة الداخلية
أريد أن أكسر صندوق السِّلحفاتي
الحلي والمصاغ نوع من الموت
الشمس على ظهري شقاوة
اذهب يا منقار الأبنوس، يا حامل الشتاء
لم أعد كما كنت قبلاً
لم أعد الخلد المخبوء.^(٢)

أظن أن هذه دعوة صريحة للتحرر وأن تكون أنا أخرى متناقضة مع ذاتها
الأولى، لاقبُود، لا ممنوعات، بل امرأة تفعل ما تريد.

(١) "حضور متعدد الوجوه"، ص ١١، نقلاً عن نسمات وأعاصير في الشعر النسائي العربي المعاصر، ص ٢٨٥.

(٢) "حضور متعدد الوجوه"، ص ٤٢، نقلاً عن نسمات وأعاصير في الشعر النسائي العربي المعاصر، ص ٢٦٨.

ولعل الشاعرة الأخرى التي نحت هذا المنحى هي (ثرثيا ملحس)، الشاعرة الأردنية المقيمة في بيروت منذ عام ١٩٥٠، والدها عبد الفتاح ملحس من عمان (الأردن) وأمها قوقاسية الأصل، إذ تلفت علومها في مدارس عمان ثم في كلية بيروت للبنات (حالياً كلية بيروت الجامعية)، وانتقلت إلى جامعة بيروت الأمريكية إذ نالت شهادة الماجستير، فمارست التعليم مدة طويلة في كلية بيروت الجامعية بدرجة (أستاذ مساعد) ورئيسة قسم الأدب العربي.^(١)

وفي قصيدتها (الهاوي الأكبر) تعكس كل ما تشعر به وتتمناه، لدرجة التصوف والذوبان في ذات الله، وتحاول أن توحد بين حبها لعاشقها وبين حبها لله، إذ تشعر بوجوده في أرجاء الأرض، فنراها تتخفى وراء الطبيعة، لتعبر عما يخالجها من عواطف.. إذ تقول..

أنا أكسر الحجارة الصماء
أنا أعقد أعمدة بعلبك
عن طريقي أدخرجها
ليروق مسلكي إليك
رفعت غشاء عيني
فتحت لي شقاً
ولجته وحدي
أحياو أننت؟
أصغيت فرقصت لمزمارك؟
فيا ربّ. متى أكون حاوية
أسيرك كما أريد.^(٢)

يمكن للقارئ عند التمعن في مقطوعاتها أن يشخص إشارات الحرية في الحب وخصوصاً ما جاء في قولها "فتحت لي شقاً" و "رقصت لمزمارك". فالشاعرة جريئة

^(١) ينظر: سمات وأعاصير في الشعر النسائي المعاصر، ص ٢٩٣، ينظر هامش الصفحة.

^(٢) (النشيد التائه) قصيدة الهاوي الأكبر، ص ١١-١٣، نقلاً عن سمات وأعاصير في الشعر النسائي المعاصر، ص ٣٤٦.

في بعض عباراتها بحيث يمكننا معرفة بعض ملامح شخصيتها المتأثرة ببيئتها ومطالعاتها المتنوعة، (شرقية كانت أم غربية).

وللشاعرة (سنية صالح) رأي خاص في الحب وهي تحلم بالهروب من أرض الواقع إلى أرض الأحلام.

"فالحب شوق مأسور ولهفة ملجمة، لأن الحب مثقل بذكريات النوم ومخاوف الخطيئة، فتريد العبور إلى أرض الحلم، بعيداً عن العيون الجامدة والقلوب المتحجرة".^(١) فتقول في (فصل الحب)...

اطوني كما تُطوى أوراق الشجر
كما تطوي الفراشات ذكرياتها
من أجل سفر طويل،
وأرحل إلى قمم البحار
حيث يكون الحب والبكاء مقدسين
أبداً تحمل قوانين الندم
نبحث عن ذاكرة الطفولة
لسنا الجسد، لسنا الجريمة المحمولة
ولا الروح الإلهية.^(٢)

وهنا دعوة من الشاعرة إلى التحرر من عاطفتها تجاه من تحب محاولة الولوج إلى العالم الداخلي للشخصية فيها من الاسترجاعات إلى عالم الطفولة مؤكدة أن هذه العاطفة شيء طبيعي بين الرجل والمرأة، لأنهما ليسا أرواح مألهة وما يتبادلاه من عاطفة فهي شيء غير محرم ولا إثم فيه وقد أجادت التعبير عن ذلك وأبعدته عن كونه جريمة تستحق العقاب، وتعطي إيقاعات موسيقية متنوعة لعباراتها، تشعرنا بأنها تحلق في مجال الشعرية ولكن من خلال أسلوب الحوار الداخلي، أو يعرف بـ(المونولوج) -أي (حوار مع النفس).

(١) نسمات وأعاصير في الشعر النسائي العربي المعاصر، ص ٣٤٦.

(٢) "الزمان الضيق" قصيدة فصل الحب، ص ٢٦-٢٧، نقلاً عن نسمات وأعاصير في الشعر النسائي العربي المعاصر، ص ٣٤٦.

وفي قصيدتها "أحزان العصافير" تشير صراحة إلى ما يعانيه المحب من صد
حبيبته، وعدم تفاعلها معه في التصريح بمشاعرها، وربما كانت تشعر بالحزن والكآبة
في حياتها، ولم تصادف من يستحق حبها فرمزت لذلك بالعصافير للتعبير عن
حزنها، على الرغم من حريتها وأفكارها غير المقيدة بالعادات والتقاليد. فتقول...

لأجلــــــــــــــــك يــــــــــــــــاحبيبي
سأصــــــــــــــــير أحجــــــــــــــــية (أعتصمت بالصمت)
سأحمل أوراقــــــــي، كل أوراقــــــــي (شعر الثورة)
وأحرقها
قبل أن يفاجئني النــــــــدم
قبل أن يفتح الباب على الهاوية
فيجيبها الرجل مؤنباً:
ولدت من الضوء يا امرأة العاصفة
واليه عدت
ونسيت سوطك على الوجه (السوط رمز العبودية)
ترتعبــــــــين كــــــــا لعاصفــــــــير
إذ تضرب خواصرها الريح والمطر
وحين أرفعك مصباحاً وحيداً فوق
أحــــــــــــــــزان المســــــــــــــــاء
أراك مطفأة.^(١)

فعقدت الشاعرة حواراً جميلاً بين المرأة الحبيبة والرجل المحب ويتضح ان
هناك جفاءً بين الاثنين كل يدفع باللائمة على الآخر.

أما الشاعرة (نهاد سلامة) التي ولدت في بيروت عام ١٩٤٧، ووالدها
الشاعر الصحفي (يوسف فضل الله سلامة)، إذ تلقت علومها الثانوية في (مدرسة

(١) "الزمان الضيق" فصل أحزان العصافير، ص ٦٠، نقلاً عن نسمات وأعاصير في الشعر النسائي العربي المعاصر، ص ٣٤٨.

ماريوسف) وعلومها الجامعية - فرع الفلسفة - في مدرسة الآدب العليا في بيروت، فمارست الصحافة وبخاصة الجانب الثقافي في "الماغازين" و "لو سوار" و "الصفاء" إذ رأت تحرير القسم الثقافي. وهي حالياً المسؤولة عن القسم الثقافي والناقذة الفنية في جريدة "لوري فاي"، لها بالفرنسية "صدى الزفرات" أو "صدى النفحات"، ١٩٦٨ و "رسائل إلى ملهمني"، ١٩٧١ وهما مجموعتان شعريتان.^(١)

ونشرت مجموعتها الشعرية "صدى النفحات" عام ١٩٧٢، وأصدرت لها الدار الفرنسية (رواية الفاشلة)، عام ١٩٧٣، واعتمدت في قصائدها على الإشارة والإيجاز والطرفة والإغراب في الوصف والتصوير.^(٢)

في مقطوعتها "أنت حار" نجد الشاعرة الشاعرة تعظم من شأن الرجل الذي تحاول من خلال عباراتها أن تصف تأثيره وأهميته في حياة كل امرأة وإلى ما يصنعه الحب بالمرأة، فحبه الذي يعيش في قلبها، يجعلها تطير فرحاً كالفرشة، فمن غير عاشقها لا معنى لحياتها. فتقول:

أنت حار مثل صلاة على أفواه المهتمدين
حار مثل بنت باكية
فيك شيء من رماد البحار الإلهية
أنت رسول الليالي الطوال التي تطلق
ذكريات النساء اللواتي
خلون من الحب!^(٣)

وفي هذا النص إشارة واضحة إلى مافي الرجال من قوة وصلابة. ولنتعرف على شاعرة الحب والورود (مي مر) كما يسميها بعض المعجبين بمجموعتيها: "لم الورود؟" و "تلوي أعناقها السنابل" الصادرتين باللغة الفرنسية، التي

^(١) ينظر: شعر اللبنانيين باللغة الفرنسية، ص ٢١٥.

^(٢) ينظر: نسمات وأعاصير في الشعر النسائي العربي المعاصر، ص ٣٦١.

^(٣) المجموعة الشعرية (صدى النفحات)، قصيدة "أنت حار"، ص ١٧، نقلاً عن نسمات وأعاصير في الشعر النسائي العربي المعاصر، ص ٣٦٣.

نالَت جائزة سعيد عقل سنة ١٩٦٧ والثانية سنة ١٩٦٩.^(١) إذ ولدت في بتغرين عام بتغرين عام ١٩٢٩، وتلقت دروسها الثانوية في راهبات القلبين الأقدسين ونالت الإجازة التعليمية في التاريخ والجغرافية من الأكاديمية اللبنانية للفنون الجميلة ودبلوم الدراسات العليا الجغرافية من جامعة ليون في فرنسا، ولها باللهجة اللبنانية "أليسا" ١٩٦٨، لها دراما تاريخية شعرية "بحبك" ١٩٧٨، وتتنمي الشاعرة بين الشعراء اللبنانيين الذين يؤلفون بالفرنسية، إلى تيار الموجة الجديدة تجسد شاعريتها بجرأة وصراحة في ذلك اللقاء الذي يجمعها مع الرجل فتترك عاطفتها وأحاسيسها له منشية بقره فتقول:

سوف تسكب الريح في قلبه
غلاً من العطور البيضاء
وأي سماء يتنزه مزيماً بالدردار وإكاليل الجبل
نفحات مسكرة! لن أعفي فمك
من ذراق شفّتي وباسمينها!^(٢)

وما أروع ما تدعو إليه الشاعرة لتعلن عن رغبتها بالبقاء دائماً في حالة امتلاء بالحب، تعشق عذابه وتريد أن تتمتع مع حبيبها إلى آخر لحظة من حياتها، فدعوتها هي لاستدامة هذا الحب على عنفوانه، فتقول:

لا تحرم عيني نصيبها من شفّتك
لتكن أيامك لي
وأنا أبتديتك
في عطشي إليك أريد
أن امتلئ منك وأموت.^(٣)

(١) ينظر: نسمات وأعاصير في الشعر العربي المعاصر، ص ٣٦٩.

(٢) نسمات وأعاصير في الشعر النسائي العربي المعاصر، ص ٣٦٩.

(٣) مجموعة "تلوي أعناقها السنابل"، ص ٦١، نقلاً عن نسمات وأعاصير في الشعر النسائي العربي المعاصر، ص ٣٧٠.

وهذا ميل نفسي سجلت بعض النساء في الغرب عند بلوغهن أقصى متعتهن مع الرجل وأنهن غير مباليات بعد ذلك بالموت، لأنهن بلغن أقصى ما تعطيه الحياة للمرأة من نشوة.

فالشاعرة لا تبالي بالآخرين وتحب الاختلاء بالحبیب بعيداً عن عيون الناس،
تفعل ما يحلو لها فتقول:

وفي وشاح قبلية طويلة
في داخلك. في أعرق ذاتك
غارقة، أنام، كالبراءة
كلانا معاً، وليمت الكون.^(١)

إن الشاعرة تتحدى كل شيء في سبيل الاختلاء بالحبیب في الليل فلنسمعها
تقول:

أطفئ النور
ليلف الغموض مداعبتنا
تحرّك في ليلى
ظلك نوري.^(٢)

فهي تفضل الموت على أن يبتعد عنها من جعل لحياتها لوناً وأعطاهَا لذة
الحب. إذ تقول:

-أذهب _____ إذن؟
أذهب _____ دونك؟
-تقتلني؟ لا أريد الموت
أخرج
ما أشد ما أبغضني!.^(٣)

وترفض الشاعرة لحظة الفراق وتخاف من بُعد الحبیب، فتتشدنا بقولها:

(١) مجموعة "لم الورود؟" ص ٤٤، نقلاً عن نسّامات وأعاصير في الشعر النسائي العربي المعاصر، ص ٣٧١.

(٢) مجموعة "لم الورود؟" ص ٥٦، نقلاً عن نسّامات وأعاصير في الشعر النسائي العربي المعاصر، ص ٣٧١.

(٣) مجموعة "الأشواك"، ص ٩١، نقلاً عن نسّامات وأعاصير في الشعر العربي المعاصر، ص ٣٧٢.

أموجعة أنا؟ نعم
موجعة لأنني ما أستطعت أن
أُلد فيك
وأن أفتح في أفكارك،
حين أتعذب، أتعلم لم؟
لعلمي أن عمري يوماً ما
وحده سيفرق بيننا. (١)

وتُعاود (مي) ذكرها وتكرارها (للعشق والحب) وتأكيد رغبتها في الاستمرار
ب(لقاء) ذلك الرجل الذي تذوب في عشقه كقطعة ثلج بين يديه، فنقول:

هيا، خذني إليك يا حبيبي
انثـر ولـم
ما أنا إلا كتابك، فانزع أوراقه
انزعها دائماً. (٢)

وتستمر:

يحفظني كل يوم
بعد أن يحولني إلى "ما لست أدري"،
وإذا أخطأ في الحب
فإنه يُعيدني. (٣)

وفي عبارة "ما لست أدري"، تعبر الشاعرة عن قصورها في وصف حالة فقدان
الشعور في لحظات اللقاء، وهذا يدل على أن الشاعرة ذات إحساس مرهف بالحب
وتبعاته دون الخضوع للتقاليد المتعارف عليها.

(١) مجموعة "لم الورد؟"، ص ٣٥، نقلاً عن نسمات وأعاصير في الشعر النسائي العربي المعاصر، ص ٣٧٠.

(٢) مجموعة "لم الورد؟"، ص ١١، نقلاً عن شعر اللبانيين باللغة الفرنسية، ص ٢٠٢.

(٣) مجموعة "لم الورد؟"، ص ١٠٩، نقلاً عن شعر اللبانيين باللغة الفرنسية، ص ٢٠٤.

ونلاحظ اعتماد الشاعرة على رموز الطبيعة وكأنها تشاركها الحب وتشهد عليه، فتقول:

ثلاثتنا، نحن والنسيم
أمسكنا المساء الهارب من أشماك الطريق
العشب يلحس أقدامنا
العاشق الوحيد يسكر..
شفتاي الفتيتان، أقطفهما
وجع، وجع الحب
يجرحني ويحمني
وقلبانا في الأسود الكثيف
يتبادلان الزهور.^(١)

ولعل الشاعرة في هذه المقطوعة جريئة جداً وبشكل فاضح وهي تتحدث عن تجربتها العاطفية حيث تلتقي بالحبیب في المروج ليلاً:
"آه، ثمار موجعة
وجع، وجع الحب
يجرحني ويحمني"

أما الشاعرة والصحفية والإذاعية (أدفيك شيبوب)، فقد شغت رئاسة تحرير "صوت المرأة" بين الأعوام ١٩٤٥، ١٩٥٨، وتسلمت برنامج المرأة في الإذاعة اللبنانية منذ عام ١٩٤٦. نشرت مجموعتها الشعرية "بوح" عام ١٩٥٤، و "شوق" عام ١٩٦٢ وكتبتاً للأولاد منها "الطبيبي الصغير" الذي نال جائزة "أصدقاء الكتاب"، ولها كتاب "ذكرياتي مع جبران" حررته لمؤلفه يوسف الحويك، وغيرها من الأعمال.^(٢) ولمست معاناة الشاعرة وحسها المرهف وشاعريتها العفوية، وكم هي بسيطة وذواقة، إذ يشغل فكرها الهم النسائي لتتناول بإخلاص كل قضية تحيط بالمرأة، إذ تثير في نفس القارئ الارتياح من خلال ما تعرض من صور الحزن

(١) مجموعة "لم الورد؟"، ص ٤١، نقلاً عن نسمات وأعاصير الشعر النسائي العربي المعاصر، ص ٣٧٠.

(٢) ينظر نسمات وأعاصير في الشعر النسائي العربي المعاصر، ص ٣٩٤، ينظر هامش الصفحة.

والفرح وأظن أن الشاعرة مجروحة ولديها شيء خاص عكسته بشكل يمكن تحديد صورته من خلال عباراتها التي أحسنت تتسيق إيقاعها الموسيقي، وطغى ذوقها الفنان في التتويج والانسجام لأفكارها المجسدة في قصائدها، وفي عقلها رسالة أو سؤال هو: كيف إذا مضى العمر وذكريات الحب ترافقها؟ وإذا فقدت الحبيب الذي أسهم وشجع (أدفيك) لتكتب لنا كيف ستعيش من دونه؟ وأظنها ستبقى تعزف لنا إيقاعاً حزيناً، تجسده في كل سطر نثري أو شعري، فإذا ذهب الشباب ماذا سيكون مصير الحب؟ فلنسمعها تقول:

عندما يجف ماء الشباب في جسدي
ويصبح هذا الجسد حطبة يابسة
هل تبعث فيه الذكريات -ذكريات الحب-
تلك الخلجات الحلوّة؟
أم أن هذا الشعور الحنون الذي يهزني اليوم
يصبح عبـر الأزمـان
أنشودة منسية للحنن؟^(١)

ونراها ترفض الخضوع لأي حب جديد وتبقى تحمل في صدرها ذلك الحب المقيم من سنوات مضت، فتسجل الوفاء لعشها غير مبالية بعشاقها الآخرين، تتنفس من خلال ذكرياتها فتقول:

يتراءى لي بين حين وحين
أن غريباً يطل على هذا القلب
ليشغل مكانه المهجور..
لكنه لا يلبث أن يرتد
فالمكان أما صغير لا يسعه
أو كبير يضيق فيه
ألا كشفت لي عن هذا الغموض

(١) مجموعة "بوح" ص ١١٤، نقلاً عن نسيمات وأعاصير في الشعر النسائي العربي المعاصر، ص ٣٩٨.

أيها الحبيب الغائب؟^(١)

أما (هند سلامة) الشاعرة اللبنانية التي تحاول أن تشارك القارئ في همها وأحلامها وتجعله يفكر في قصائدها، وهي تسرح في عالم الخيال وتطالب عاشقها بإحياء عرس الحب في الظلام بمعزل عن عيون الرقباء. فتقول في قصيدة "عتمة":

نامت عيون الناس
فلنقم من السكينة مهرجانا
رؤى بيضا وأحلاماً حساناً!!^(٢)

وتصور الشاعرة غيرتها بشكل صريح ومباشر لدرجة تبدو فيها عملية وجدية، إذ تخاف فقدان حبيبها على الرغم من ما شاهدته من خيانة ذلك الرجل وهو برفقه امرأة شقراء، وتزعم أنها لا تغار وفي الوقت نفسه وتطالبه بالوفاء والبقاء بقربها... فتقول في قصيدة (قُبَل):

لا لاتنكر عليّ
شاهدتك أمس بعيني
وشقراء جميلة المحيا
وإن تكن دوني شاباً ندياً
قل لي بربك
هل لشفتها غير ما لشفتي
أنت الذي تدعي الوفاء
أكذا تكون وفيّاً؟
أنا لا أغار. لا.
ولكني أخشى أن تفلت
من يديا

فتنسى الحياة والموت عندي

^(١) مجموعة "بوح" ص ٥٧، نقلاً عن نسيمات وأعاصير في الشعر النسائي العربي المعاصر، ص ٣٩٦.

^(٢) كتاب (لمع) (لهند سلامة) الذي يتألف من ثلاثة عشر قصيدة، المكتبة العصرية، صيدا بيروت، نقلاً عن نسيمات وأعاصير في الشعر النسائي العربي المعاصر، ص ٤١٨.

سويا. (١)

وسنختم بحثنا بـ(نللي جدعون) وهي من الأقلام النسائية المعروفة في شعر اللبنانيين باللغة الفرنسية، إذ تعيش منذ زمن طويل في باريس، ونشرت عام ١٩٦٦ مجموعة شعرية بعنوان "على إيقاع اللحظة"، نالت لأجلها جائزة إدغارو التي منحها إيّاها "بيت الشعر" في باريس. إذ تترجح في انتمائها الشعري بين الغنائية والنيوكلاسيكية والسريالية. (٢)

أحسست وأنا أقرأ لها فأجدها تحب من الرجل حضوره ومرافقته لها، بحيث تصف وتصور ذلك الرجل بالربيع الذيلون أيام حياتها، فتتنفس الطبيعة كلها بحضوره والسماء تسطع ضياءً بنجومها وسحر بياضها والبحر في هدوء أمواجه، وأظنها تتفعل عاطفياً برؤية من يمنح الحياة لشرابين جسدها، ويغذي نبضات قلبها، ونلمس فرحتها وهي تقول:

يا لحضورك المشرق، كانبلاج الضوء في الليل
كل ما تراءى متجمداً ومطفأً
بحضورك يضحك، يلهب، يلتهم بالنار المتولدة
والذي كانت السماء تأبى أن تبوح به
يحفر على صفحة الأفق بحروف ذهبية
بحضورك يتجدد وينتشي
ما فات التّسليم من عبّق،
والروح من تحليق،
والزمن من فصول
بحضورك، تختلج الضلوع في شراعي
وأرى النجمة تتلأأ من جديد. (٣)

(١) كتاب (لمع)، هند سلامة، قصيدة (قُبَل)، نقلاً عن سمات وأعاصير في الشعر النسائي العربي المعاصر، ص ٤٢١.

(٢) شعر اللبنانيين باللغة الفرنسية، ص ٢١٢.

(٣) مجموعة "على إيقاع اللحظة" نقلاً عن شعر اللبنانيين باللغة الفرنسية، ص ١٦.

وأختم قائلة أن الشاعرات اللبانيات اللواتي عُرفنَ بشاعرات اللغة الفرنسية وجدنَ أنفسهن في تلك اللغة، فهي حرة في كل ما تحس وتكتب. بحيث تظهر وتُلعن كلماتها في الرجل والحياة والحب، لكونها أرادت أن تتخلص من كوابيس التقليد في الحب والعشق، إذ تحب التجديد والتحرر من العقد والأسوار الاجتماعية، وربما لديها طموح في الشهرة فضلاً عن أنها تعشق التأنيق والتحضر والحدثة انسجماً مع ذوق العصر المتحضر، ولكون اللغة الفرنسية تمثل ثقافة تُغني التراث اللبناني، لذلك عمدت إلى النظر إلى تلك اللغة بكونها وسيلة تحقق من خلالها ما تشتهي لنفسها.

المصادر

١. الآباء والبنون، ميخائيل نعيمة، دار صادر، الطبعة الخامسة، بيروت، ١٩٦٧.
٢. أدباء العرب في الأندلس وعصر الانبعاث، بطرس البستاني، مكتبة صادر، الطبعة الرابعة، بيروت، ١٩٥٨.
٣. تاريخ لبنان الحديث، كمال الصليبي، الطبعة الأولى، دار النهار للنشر، بيروت، ١٩٦٧.
٤. الجنس والنفس في الحياة الإنسانية، د.علي كمال، الطبعة الأولى، لندن، ١٩٥٨.
٥. شعر اللبنانيين باللغة الفرنسية، منشورات الجامعة اللبنانية، قسم الدراسات الأدبية، ١٩٠٣-١٩٦٨.
٦. شاعرات العرب في الجاهلية والإسلام، يموت بشير، المكتبة الأهلية، الطبعة الأولى، بيروت، ١٩٤٣.
٧. فلسفة اللغة، كمال الحاج، دار النشر للجامعيين، بيروت، ١٩٥٦.
٨. لبنان في التاريخ، فيليب حتي، بيروت-نيويورك، ١٩٥٩، ترجمة د.أنس فريحة.
٩. نسيمات وأعاصير في الشعر النسائي العربي المعاصر، روز غريب، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الطبعة الأولى، ١٤٠٠هـ-١٩٨٠م.